أَلوَحْيُ وَالإِلْهامُ
بَيْنَ الرُّؤْيَةِ اللُّغَوِيَّةِ وَالرُّؤْيَةِ القُرْآنِيَّةِ

السيد خالد سيساوي
تبسة - جمهورية الجزائر

فحوى البحث

خاض السيد الباحث دلالات مفردتي (الوحي) و (الالهام) بين المدلول اللغوي والقصد القرآني، وتوصل الى ان فهم القرآن الكريم منوط بتجديد العلاقة المتينة بين البنية اللغوية للنص القرآني ومعارفه، وهذا لايتسنى للمحقق في مجال الدراسات القرآنية الا من خلال كشف العلاقة بين (البعد الوجودي) أي حقيقة وجود الكلمة اصلاً، و (البعد اللساني) أي كون الكلمات القرآنية تنهض بوظيفة وجودية خاصة. وقد اتخذ السيد الباحث من كلمتي (الوحي) و (الالهام) انموذجين لاثبات هذه الحقيقة معتمداً اهم واشهر كتب اللغة وكتب التفسير والمأثور من الروايات.

تمهيد:

ترى نظريات التحليل اللساني أن النظام اللغوي ليس نظاما اعتباطيا؛ بل هو نظام مترابط ينبيء عن ما في ضمير المتكلّم، حيث ينشأ على غرار ذلك أفعالا كلامية ضمن كلمات مفتاحية خاصّة. كلمات لها من الخصوصية ما ليس لنظيراتها وهو ذلك المعنى الأنطولوجي للكلام. ولعلّ المحقق في الدراسات القرآنية يلامس هذه الحقيقة في ألفاظ النص القرآني من خلال تطبيق أصل الظاهر والباطن؛ لهذا نجد أرباب اللغة يرجعون إلى نصيّة القرآن الكريم في تحديد معاني المفردات اللغوية.

إن التركيز على تعالي الفهم القرآني واتساع دائرة نفوذه لكل مجالات العلوم الأخرى من شأنه أن ينهض بالدراسات القرآنية ويبوئها المكانة المرموقة. فهم من شأنه أن يرقى باللغة من مرحلة البيان اللغوي إلى مجال الدور الوظيفي والعملي، وبعبارة أدّق فهم يقرأ من خلاله الفعل الكلامي قراءة أنطولوجية.

وحتى نقف على أنموذج حي من تلك الكلمات المفتاحية؛ رأيت أن دراسة مجملة حول مفردتي الوحي والإلهام بين اللغة والقرآن من شأنها توضيح مدّعانا هذا، أملين من القارىء الكريم بأن لا يبخل علينا بنقوده البناءة.

الرؤية اللغويّة:

لا شك في أن الخوض في المباحث اللغوية لمفردات أي مبحث علمي صار ديدن كل مفكّر أو باحث، إذ من شأنه كشف المعاني المتسترة خلف لباس الألفاظ. لذا يحسن بنا أولا تسليط الضوء على الرؤية اللغوية لمفردتي الوحي والإلهام حتى يتسنى لنا الاشراف على مجال تداولاتها الدينية. آملين أن نلامس حقائقها التي طالما عدّت وسائل للمعرفة الدينية خاصّة. ويجدر بنا التنبيه على أن التداخل بين معاني هذه المفردات قد يبدو للوهلة الأولى في قوة المشترك اللفظي؛ لكن سرعان ما سيتبدد ذلك؛ لأنّ التمايز الذي سنبيّنه في محله من شأنه أن يرفع هذا اللبس ويضع الأمور في مواضعها. إذ يمكننا رفع تعارض المفردات اللغويّة

من صلب معانيها؛ خصوصا أنها وردت بخصوصيات مصاديقها المختلفة في الاستعمالات القرآنية والروائية التي سنجدها مطوية طي السجل في ثنايا هذه المفردات.

الوحي في اللغة:

يمكننا القول بعد استقصاء المعاجم اللغوية المعتبرة أنّ «و ح ى» بكافة اشتقاقاتها تطلق على الإشارة والإيماء، الكتابة والرسالة، كما تطلق أيضا على الكلام الخفي. وحتى نتمكن من حصر تلك المعاني التي جادت بها قريحة أساطين اللغة ومحققيها، رأيت أن ألخصها من خلال حيثيتين وهما:

لحاظ حيثية الخفاء:

وحي: يقال وحي يحي وحيا، أي: كتب يكتب كتبا. وأوحى الله إليه، أي: بعثه. وأوحى إليه: ألهمه. وكذا الإشارة لقوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾؛ وقيل: معنى أوحى إليهم: أومأ ورمز، وقيل كتب لهم بيده في الأرض... وأصله في لغة العرب إعلام في خفاء ولذلك صار الإلهام يسمى وحيا[1].

وجاء في لسان العرب؛ الوَحْيُ: الإشارة و الكتابة و الرِّسالة و الإِلْهام و الكلام الخَفِيُّ و كلُّ ما أَلقيته إِلى غيرك. يقال: وحَيْتُ إِليه الكلامَ وأَوْحَيْتُ. و وَحَى وَحْياً وأَوْحَى أَيضاً أَي كتب؛ و الوَحْيُ: المكتوب و الكِتاب أَيضاً، وقال الكسائي: وَحَيْتُ إِليه بالكلام أَحي به و أَوْحَيْتُه إِليه، و هو أَن تكلمه بكلام تخفيه من غيره؛ وقال ابن الأَنباري في قولهم: أَنا مُؤْمِنٌ بوَحْيِ الله، قال: سمي وَحْياً لأَنَّ الملك أَسَرَّه على الخلق و خَصَّ به النبيَّ ﷺ، المبعوثَ إِليه[2]؛ وقال الفيروزآبادي: الوحي: الإشارة، والكتابة، والمكتوب، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك، وأوحى إليه: بعثه وألهمه[3]؛ وكذا ابن فارس بقوله: «الوحي أصل يدلّ على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك. فالوحي: الإشارة، و الوحي: الكتابة و الرسالة و كل ما ألقيته إلى غيرك

(١) العين، ج٣، ص: ٣٢٠.
(٢) لسان العرب؛ ج١٥؛ ٣٧٩.
(٣) القاموس المحيط، باب الياء فصل الواو ٤/ ٤١٠.

حتى علمه، فهو وحي كيف كان[٤].

ومن المتكلمين والمفسرين من رأى المعنى نفسه؛ فهذا الشيخ المفيد قدس سره يقول: «أصل الوحي هو الكلام الخفي، ثم قد يطلق على كل شيء قصد به إلى إفهام المخاطب على السّر له عن غيره، والتخصيص له به دون من سواه، وإذا أضيفت إلى اللهّ تعالى كان فيما يخص به الرسل عليهم السلام خاصة؛ دون من سواهم على عرف الإسلام وشريعة النبي...»[٥]؛ ولا يُشكل بأن الشيخ المفيد قدس سره بصدد بيان المعنى الاصطلاحي إذ من الواضح أنه بصدد ذكر المعنى اللغوي وميّزه عن المعنى الاصطلاحي.

وقد عرّف المفسر الطبرسي قدس سره أيضا الوحي بقوله: الإيحاء؛ هو إلقاء المعنى إلى الغير على وجه يخفى.. . قال العجاج: وحى إليها القرار فاستقرت وشدّها بالراسيات الثبت[٦]، وكذا صاحب تفسير الميزان قدس سره في قوله: «والمحصل من موارد استعماله (الوحي) أنّه إلقاء المعنى بنحو يخفى على غير من قصد إفهامه[٧]».

لحاظ حيثية السرعة:

وقد أشار الراغب في مفرداته إلى هذه الحيثية فقال: «أَصْلُ الوَحْي الإشارَةُ السَّريعَةُ وذلكَ يكونُ بالكَلامِ على سَبيلِ الرَّمْز والتَّعْرِيضِ، و يكونُ بصَوْتٍ مُجَرَّدٍ عن التّرْكيبِ، وبإشارَةِ بعضِ الجَوارِح بالكِتابَةِ وغَيْرِ ذلكَ، ويقالُ للكَلِمَةِ الإلهيةِ التي تُلْقى إلى أَنْبيائِه وأَوْليائِه وَحْيٌ، وذلكَ إمَّا برَسُولٍ مُشاهِد تُرى ذَاته ويُسْمع كَلامه كتَبْليغ جِبْريل في صُورَةٍ مُعَيَّنة، وإمَّا بسماع كَلام مِن غَيْر مُعاينةٍ كسماعِ موسَى كَلامَه تعالى، وإمَّا بإلْقاء في الرَّوْعِ كحديث: «إنَّ جِبْريل نَفَثَ في رَوْعي»[٨]. والملاحظ هنا أن الراغب؛ قد جعل حيثية السرعة ركنا من أركان المعنى اللغوي لمفردة الوحي بدلا من حيثية الخفاء، وقد تبعه بعض اللغويين

(٤) معجم مقاييس اللغة، ج٦، ص٩٣.
(٥) تصحيح الاعتقاد المطبوع مع أوائل المقالات: ص٢٣١.
(٦) الطبرسي، مجمع البيان. [سورة آل عمران: ٤٤].
(٧) تفسير الميزان؛ محمد حسين الطباطبائي، ج١٢ ص٢٩٢.
(٨) مفردات ألفاظ القرآن، ج٢، ص٤٩٦.

في ذلك حينما تعرّضوا لمشتقات مفردة "الوحي" فعدّوا حيثية السرعة شرطا" الفَرج الوحيّ بتشديد الياء: السريع، ومثله: موت وحيّ؛ أي سريع، ومنه ذكاة وحيّة؛ أي سريعة، و "الوَحا الوَحا" بالمدّ والقصر أي السرعة السرعة...[٩].

وكذا صاحب لسان العرب فقال: والوَحِيُ، على فعيل: السَّريعُ. يقال: مَوْتٌ وَحِيٌ... يقال: تَوَحَّيْتُ تَوَحِّياً إذا أَسرعت، وتَوَحَّى بالشيء: أَسْرَعَ. و شيء وَحِيٌ: عَجِلٌ مُسْرِعٌ[١٠].

تحقيق لغوي:

بعد هذا الاستقراء لآراء بعض المحققين اللغويين؛ يظهر أن لمفردة الوحي أكثر من أصل. وقد يقال أن إرجاع هذه المعاني المتفاوتة إلى معنى واحد غير صحيح؛ لأن إرجاع المعاني المختلفة التي ليس بينها جامع مشترك إلى الأصل الواحد مستهجن في عرف اللغة؛ فكيف يمكننا إذن رفع هذا التعارض البدوي؟.

وللجواب عن هذا السؤال علينا القول: لعلّ الخفاء في مفهوم الوحي جاء من قبل اعتبار السرعة فيه، فالإيماءة السريعة تخفى طبعاً على غير المومى إليه. يقال: موت وحيّ أي سريع. قال الزمخشري[١١]: «وحيت إليه وأوحيت إذا كلّمته بما تخفيه عن غيره؛ و توحّى؛ أي أسرع. كما أنّ الاستعمالات اللغوية لهذه المفردة تشير إلى معان متعددة بينها قدر جامع ترجع إليه يمكن جمعها بلحاظ صيغها كالآتي:

- بمعنى الكتابة إذا استخدم كثلاثي مجرد ودون حرف إضافة.
- بمعنى الإلقاء -الجامع للمعاني الأخرى من قبيل الإشارة، والإيماء، والإنباء، والإلهام -وله نحوين:

- إذا استخدم كثلاثي مجرد وبحرف إضافة؛ وله أنحاء متعددة.
- إذا استعمل كثلاثي مزيد من باب إفعال متبوعا بحرف إضافة؛ أي أوحى إليه و أوحى له؛ وله أنحاء متعددة أيضا.

(٩) مجمع البحرين، ج١، ص: ٤٣٢.
(١٠) لسان العرب، ج١٥، ص: ٣٨٠.
(١١) أساس البلاغة، ج٢، ص٢.

الوحي {Revelation}

في الاصطلاح:

يُعرَّف الوحي في المجال التداولي الديني بعنوانه منبعا معرفيا خاصا وقناة تربط عالم الغيب بعالم الشهادة، فهو نحو إلقاء خفي من الله تعالى إلى من اصطفى من عباده لحمل رسالته. وبقياس هذا المعنى إلى المعنى اللغوي يمكننا أن نلمس وجود علقة متينة بينهما؛ لأن مفاد كليهما هو الإلقاء الخفي، أما حيثية السرعة فهي نحو ذلك الإلقاء يدركها المُتَلقي بالوجدان.

قال محمد عبده: «وقيل الوحي: إعلام في خفاء، و يطلق و يراد به الموحى. وقد عرّفوه شرعا أنّه إعلام اللهّ تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه، أما نحن فنعرفه على شرطنا بأنّه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل اللهّ بوساطة أو بغير وساطة، والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت، ويُفرّق بينه و بين الإلهام، بأن الإلهام وجدان تستيقنه النفس و تنساق إلى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى، و هو أشبه بوجدان الجوع و العطش و الحزن و السرور»[١٢].

كما يعدّ الوحي ملاكا للميّز بين الأديان الوحيانية وغير الوحيانية. إلا أننا نجد أن هذه المفردة المقدَّسة مع ما تمثله من مفهوم أساسي في الأديان الوحيانية؛ تفتقد عند تحليلها لمعنىً جامع تتلاقى عنده رؤى تلك الأديان، فالمستقرأ لتاريخانية الدين المسيحي مثلا يمكنه الظفر بمعنيين لهذه الظاهرة السماوية وهما:

١. إلقاء الحقائق من الله تعالى؛ بمعنى أنّه نحو تنزّل لجملة من الحقائق الإلهية في شكل قضايا على قلب المسيح عليه السلام، و قد كان الدين المسيحي لردح من الزمن يرتكز على هذا المعنى قبل تبلور المعنى الثاني.

٢. تجلي الله تعالى؛ أي ظهور الله تعالى في عبده المسيح عليه السلام وتجسده بكيفية ما.

وفي المقابل نجد الرؤية الإسلامية تنطوي على تفسير خاص لظاهرة الوحي؛ تلك الظاهرة التي يُجهل كنهها

(١٢) رسالة التوحيد ص٨١.

وتُعرف بأثرها؛ وهذا ما قرّره العلامة الطباطبائي بوصف رائع حينما رأى أن الوحي «شعور مرموز» من سنخ العلوم الغيبية المتعالية على العقل والفكر والنبوغ لذا كان وهبيا لاكسبيا[١٣]، ويعلّق الشيخ جوادي آملي على ذلك بقوله: «إن وصف هذا الشعور بالرمزية في محله لأنه يشير إلى أن هذه الحقيقة حوت من الأسرار ما يجعلها مفاتيح لزمرة خاصة من الناس وهم المصطفون»[١٤]. وعليه بدل أن يتجلى الحق في عبد من عباده كما رآه التقرير المسيحي، تجلى في كلامه وهو القرآن الكريم الذي نزّله على قلب الرسول محمدﷺ، قال الامام عليؑ: «فَبَعَثَ مُحَمَّداًﷺ بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ ومِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وأَحْكَمَهُ لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ وَلِيُقِرُّوا بِهِ إِذْ جَحَدُوهُ وَ لِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ فَتَجَلَّى سُبْحَانَهُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ و خَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ وَكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلَاتِ وَ احْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ»[١٥].

(١٣) الوحي أو الشعور المرموز، محمد حسين الطباطبائي، ص١٠٤.

(١٤) أنظر الوحي والنبوة في القرآن، الشيخ جوادي آملي، ص٥٥.

الإلهام لغة:

أجمع أهل اللغة على أن مفردة «الإلهام» تعني إلقاء المعنى في النفس أو الذهن؛ والحال أن ما يستظهر من كتبهم أن معناها يرجع إلى أصل واحد وهو «الابتلاع» الذي يقتصر فيه على ابتلاع الطعام؛ لكن توسُع استعمال هذا اللفظ جعله يشمل ما ليس بهادي أيضا.

قال الراغب في مفرداته: «الْإِلْهَامُ: إلقاء الشيء في الرّوع، و يختصّ ذلك بما كان من جهة اللهّ تعالى، وجهة الملإ الأعلى؛ قال تعالى: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾[سورة الشمس: ٨]؛ وذلك نحو ماعبّر عنه بِلَمَّةِ المَلَك، وبالنّفْث في الرّوْع كقوله عليه الصلاة والسلام: «إنّ للملك لمّة وللشيطان لمّة»، وكقوله أيضا: «إنّ روح القدس نفث في روعي»، وأصله من التهام الشيء: وهو

(١٥) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، صفحة ٢٠٥.

ابتلاعه[١٦]».

وابن منظور في لسان العرب: «الإِلْهَامُ: مايُلْقى في الرُّوعِ، ويَسْتَلْهِمُ اللهَّ الرَّشادَ، وأَلْهَمَ اللهُّ فلاناً. وفي الحديث: «أَسأَلك رحمةً من عندك تُلْهِمُني بها رُشْدي»، الإِلْهَامُ أَن يُلْقِيَ اللهُّ في النفس أَمراً يَبْعَثُه على الفعل أَو الترك، وهونوع من الوَحْي، يَخُصُّ اللهُّ به مَنْ يشاء مِن عباده[١٧]».

و جاء في تاج العروس: «الإِلْهَامُ: ما يُلْقَى في الرَّوْعِ بطريقِ الفَيْضِ، و يختصُّ بمَا مِن جِهَةِ اللهَّ و المَلإِ الأَعْلَى. و يقالُ: إِيقاعُ شيءٍ في القَلْب يَطْمَئِنّ له الصَّدْرُ يَخُصُّ اللهُّ به بعضَ أَصْفِيائِه. واسْتَلْهَمَهُ إِيَّاهُ: سأَلَهُ أَن يُلْهِمَهُ. والْتَهَمَ الفَصِيلُ ما في الضَّرْعِ: اسْتَوْفاهُ»[١٨].

والسؤال المطروح هنا هو: هل الإلهام يختص بالإلقاءات الربّانية فحسب أم يشمل الشيّطانية أيضا؟. طبقا للآراء المتقدمة يُستظهر أن الإلهام لغة يصدق على الإلقاءات الإلهية -بواسطة أو بدون واسطة -فحسب. ولعل منشأ ذلك راجع إلى الخلط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذه المفردة فأصل الإلهام لغة يرجع إلى الإلقاء لا غير؛ أمَّا اصطلاحا فهو المعنى الرائج في المجال التداولي الديني[١٩]. نعم اشتركت معان عديدة في هذا الأصل الكليّ نذكر جملة من استعمالاتها اللغوية:

- أَلْهَمَهُ الله خيراً: لَقَّنه إياه؛ واسْتَلْهَمَه إياه: سأله أن يُلْهِمَه إيّاه، و اللُّهْمُومُ: الكَثيرُ الخَيْرِ[٢٠].
- أَوْزَعَه الشيءَ: أَلْهَمه إِياه. قال تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾؛ و معنى أَوْزِعْنِي؛ أَلْهِمْني و أَولِعْني به[٢١].
- النَّفْث: الإِلْهَامُ و الإِلْقَاءُ، كما في المصباح، و هو مجاز، و في الحديث،

(١٦) أنظر مادة «لهم» من مفردات الراغب ج١؛ ص٧٤٨.

(١٧) لسان العرب، ج١٢، ص: ٥٥٤ -٥٥٥.

(١٨) تاج العروس من جواهر القاموس، ج١٧، ص: ٦٧١.

(١٩) سنستعرض ذلك في تناولنا للرؤية القرآنية.

(٢٠) انظر: مادة « لهم » في لسان العرب، وتاج العروس.

(٢١) انظر: مادة « وزع» في لسان العرب.

«أَنّ النّبيّ ﷺ قال: إنّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ في رُوعِي» أي أَوْحَى و أَلْقَى، كذا في النهاية[٢٢].

- القول: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾ فإنّ ذلك لم يكن بخطاب ورد عليه في ما روي وذكر، بل كان ذلك إلهاما فسماه قولا[٢٣].
- استوفَقْتُ اللهَّ جلَّ وعَزَّ: سَأَلْتُه التَّوْفِيق؛ أَي الإِلْهامَ للخَير. و يُقال: وَفَّقَه اللهَّ تَوْفِيقاً: أَلْهَمَه للخَيرِ، أَو جَعَلَه رَشِيداً[٢٤].

الإلهام {inspiration} اصطلاحا:

لقد أشرنا آنفا الى أن المراد من المعنى الاصطلاحي للإلهام هو إلقاء في الروع؛ أي القلب من جهة الله تعالى، ولهذا جامع الوحي في معناه. فهو نحو إدراك خاص تتم فيه مواجهة بين المُلقي والمُتلقي، جاء في التعاريف «ما يلقى فى الروع بطريق الفيض و قيل الالهام ما وقع فى القلب من علم و هو يدعو الى العمل من غير استدلال بآية و لا نظر فى حجة و هو ليس بحجة عند العلماء الا عند الصوفيين و الفرق بينه و بين الاعلام أن الالهام أخص من الاعلام لأنه قد يكون بطريق الكسب و قد يكون بطريق التنبيه»[٢٥]. وقد عرّفه صاحب الميزان بقوله: «الإلهام إلقاء في الروع وهو إفاضته تعالى الصور العملية من تصور أو تصديق على النفس[٢٦]». ويمكننا القول أنه إدراك خاصّ يَمُنّ به الله (عزّ وجلّ) على أوليائه، فالإلهام ضرب من الإدراك يكون من سنخ الوحي إلاّ أنّه أضعف منه.

أنواع الإلهام:

يختلف الإلهام باختلاف المُلهِم والمُلهَم، وسنكتفي هنا بالحديث عن أنواع الإلهام باعتبار المُلهَم ومرتبته؛ وهي:

الإلهام العام: وهو ذلك الإلهام الذي لوحظ فيه معنى الإلقاء من قبل الله

(٢٢) انظر: مادة «نفث» تاج العروس من جواهر القاموس.
(٢٣) مفردات الراغب ص٦٧٧.
(٢٤) انظر: مادة «وفق» تاج العروس من جواهر القاموس.
(٢٥) التعريفات؛ الجرجاني، ص١٥.
(٢٦) الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ج٢٠، ص٢٩٧.

تعالى فقط، وعلى هذا فهو جامع لجميع الإلهامات الإلهية ولا بشرط من هوية المُلهمين؛ فجميع الموجودات بهذا الاعتبار لها نصيب من هذا الإلهام. وهذا ما أشارت إليه آيات الذكر الحكيم التي سنأتي على ذكرها في الصفحات القادمة.

الإلهام الخاص: وهو ذلك الميّل الموهوب المختصّ بالنفوس الانسانية دون سواها، ويقع على طرفيّ الصلاح و الطلاح، طرفيّ الخير والشرّ؛ حتى يصحّح عنصر الاختيار. وقد وقع ذكر هذا النوع في القرآن الكريم بعد أن أقسّم المولى (عزَّ وجلّ) أحد عشر قَسَماً متوالية ثم قال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[سورة الشمس: ٨]؛ أي ألهمها اختيار سبيل الفجور أو التقوى. ففي مقام الثبوت لا حجاب بين المُلهِم والمُلهَم؛ لأن الأول تام الفاعلية والثاني تام القابلية؛ وهذا ما يصحّح وجوب تحقق ما به الامتياز بين حدّيّ التسوية وهما «التقوى» و «الفجور».

إلهام خاص الخاص: يقع هذا النوع من الإلهام في مقابل الإلهام الخاص؛ فهو فيض إلهي مضاعف يتكيء في حصوله على حسن التعرض للإلهام الخاص. فمن روَّض نفسه على العمل الصالح يجد سبل تلقي هذا النوع من الإلهام مشّرَعة أمامه. والمتلقون لهذا النوع هم أهل الله؛ الذين تهفوا أنفسهم إلى فعل الخيرات حتّى كأنّ مُناديا يكلّمهم في ذات عقولهم «أن افعل هذا العمل ودع الآخر» ولا شك أن النبي وأهل بيته الأطهار عليهم السلام هم أتم الناهلين من هذا النوع من الإلهام قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ...﴾[سورة الأنفال: ٢٩]، وقد أشار مولى الموحّدين إلى ذلك بقوله: "إِنَّ اللهَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ جِلاءً لِلْقُلُوبِ تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ وَمَابَرِحَ للهَّ (عَزَّتْ آلَاؤُهُ) فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ وَ فِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكَرِهِمْ وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي الْأَسْمَاعِ وَ الْأَبْصَارِ وَالْأَفْئِدَةِ يُذَكِّرُونَ

بِأَيَّامِ اللهِ وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَه..."[٢٧].

الرؤية القرآنية:

لا شك في أنّ جمهرة من محققي اللغة يرجعون في تحديد معاني المفردات إلى القرآن الكريم الذي فتن الكثيرين منهم ببلاغته وفصاحته، ومفرداته المعرفية والتحقّقية التي تندرج تحتها مفردة الوحي والالهام.

لقد ورد لفظ الوحي ومشتقاته في القرآن (٧٨) مرة؛ ولكي نعطي البحث حقه فقد اقتفى الباحث هذه الموارد؛ فوجد أن معاني هذه المفردة المقدَّسة لم تُغاير المعنى اللُغويّ في شيء. ولم يُقتصر في استعمالها على ذلك الإلقاء الخاص الاصطلاحي الشرعي؛ بل تعداه ليشمل طرق الإلقاء لجميع الموجودات. وحتى يلتزم الباحث بأصول البحث العلمي، فإنه رأى حصرها ضمن عناوين مشيرة ليسهل استقراءها؛ وإن اجتمعت الاعتبارات بعضها أو كلها في مورد واحد.

(٢٧) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١١، ص١٧٦.

موارد استعمال الوحي في القرآن والروايات:

١. **الوحي باعتبار المُلقي:**

لا شك في أن المُلقي حقيقة وبالذات هو الحق تبارك وتعالى، إذ الوحي إلقاء منه إلى الموجودات. وأما ما ذكر من آيات ينسب فيها الوحي لغير الله فهو من قبيل الإسناد بالعرض أو الواسطة؛ أو من قبيل سنخية الوحي والمُوحِي، وهي بالتالي تعود إلى الحق سبحانه وجودا.

قال تعالى: ﴿.. وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ﴾[سورة سبأ: ٥٠]؛ وقال أيضا: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾[سورة الأحزاب: ٢]. أما إسناد الوحي إلى غيره تعالى فقد جاء تارة المسند إليه مصرحا به كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾[سورة الأنعام: ١٢١]؛ فالمُوحِي هنا هو الشيطان ولا يُشكل

لأنه من مصاديق الوحي بالمعنى الأعم الشامل لجميع صور الإلقاء. وتارة أخرى عنوانا كليا وهو "الرسول"؛ أي واسطة الوحي كقوله أيضا: ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[سورة الشورى: ٥١].

٢. **الوحي باعتبار المُتلقِي:**

١-٢. النوع الإنساني؛ وفيه الخاص والعام:

- **الخاص بالأنبياء:** ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[سورة الشورى: ٥١]، فهو حصر تصريح لأنحاء تكليمه سبحانه وتعالى لعباده المصطفين ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾[سورة طه: ١٣]؛ وليس الوحي في هذه الآية قسم من أقسام التكليم بل جميعها ضرب من ضروبه المتفاوتة بتبع الحالات الباطنية للمُوحَى إليه. كما أن النظر البدوي يقضي بعنونة هذا النحو من الإلقاء بالعام لا بالخاص؛ لكن المفسرين قد أجمعوا أن الآية بصدد بيان طرق تكليم الله تعالى لأنبيائه وإن اندرجت مصاديق أخرى تحت عنوان التكليم. قال صاحب تفسير الميزان: «لا موجب لعد الاستثناء في قوله: ﴿ إِلَّا وَحْيًا ﴾ منقطعا بل الوحي والقسمان المذكوران بعده من تكليمه تعالى للبشر سواء كان إطلاق التكليم عليها إطلاقا حقيقيا أو مجازيا فكل واحد من الوحي؛ و ما كان من وراء حجاب و ما كان بإرسال رسول نوع من تكليمه للبشر..[٢٨]» و المعنى: ما كان لبشر أن يكلمه الله نوعا من أنواع التكليم إلا هذه الأنواع الثلاثة أن يوحي وحيا أو يكون من وراء حجاب أو أن يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاءمع أنّه يحتمل أن تكون القسمة بنحو الترديد؛ لهذا قال العلامة: «ثم إن ظاهر الترديد في الآية بأو هو التقسيم على مغايرة بين

(٢٨) الميزان في تفسير القرآن، ج١٨، ص: ٧٣-٧٤.

الأقسام و قد قيد القسمان الأخيران بقيد كالحجاب، و الرسول الذي يوحي إلى النبي و لم يقيد القسم الأول بشيء فظاهر المقابلة يفيد أن المراد به التكليم الخفي من دون أن يتوسط واسطة بينه تعالى و بين النبي أصلا، و أما القسمان الآخران ففيهما قيد زائد و هو الحجاب أو الرسول الموحي وكل منهما واسطة غير أن الفارق أن الواسطة الذي هو الرسول يوحي إلى النبي بنفسه و الحجاب واسطة ليس بموح و إنما الوحي منورائه[٢٩]».

- **وكخلاصة لكلامه قال**: «و لما كان للوحي في جميع هذه الأقسام نسبة إليه تعالى على اختلافها صح إسناد مطلق الوحي إليه بأي قسم من الأقسام تحقق و بهذه العناية أسند جميع الوحي إليه في كلامه[٣٠]».

وجاء في خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام يخبر عن بدء هذا الإلقاء النبوي قائلا: «ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت اتبعه إتباع الفصيل اثر أمه، يرفع لي كل يوم من أخلاقه علما، ويأمرني بالاقتداء به. ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولايراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي، واشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟. فقال: هذا الشيطان أيس من عبادته، انك تسمع ما اسمع وترى ما أرى إلا انك لست بنبي، ولكنك وزير وانك على خير[٣١]».

- **العام للأولياء**: قد يجامع الوحي العام الوحي الخاص في الجملة لا بالجملة؛ أي للنبي ما للولي من

(٢٩) المصدر السابق.

(٣٠) نفسه، ج١٨، ص: ٧٤.

(٣١) نهج البلاغة.

مصاديق التلقي والعكس ليس بصحيح، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى ﴾ [سورة المائدة: ١١١]؛ ونظير هذه الآية ما ألقي الى أم موسى، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾[سورة القصص: ٧]. ويؤيدهما عَنْ مُحَمَّد بْنِ يُوسُفَ الصَّنْعَانِيِّ عَنْ أَبِيه قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عن إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوارِيِّينَ فقَالَ: أُلْهِمُوا[٣٢]».

٢-١. باقي الموجودات:

- **الملائكة:** تارة نلحظ الملائكة من حيث جامعها التكوينيّ «ما به الوجود» وهو التجرُّد عن الجسمانية. وتارة أخرى من حيث غاية التكوين «ما لأجله الوجود» فنجدها متفاوتة فيما بينها. وكمقابلة للآيات التي دلَّت عن اصطفائه تعالى لأنبيائه ورسله وأوليائه، جاءت آيات أخر تدل على اصطفائه تعالى لملائكته. قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ... ﴾[سورة الحج: ٧٥]؛ وهنا تصريح بالتفاوت الملحوظ فمن جملة الملائكة هناك زمرة فقط موكّلة بأمر الوحي.

أمَّا قوله تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا.. ﴾ [سورة الصافات: ١ -٣]؛ فهو يشير إلى تفاوت التفاوت، فالملائكة الموكلون بالوحي أيضا بينهما تفاوت. ويؤيده ما ذكره العلامة فقال: «ويحتمل -والله العالم -أن يكون المراد بالطوائف الثلاث المذكورة في الآيات طوائف الملائكة النازلين بالوحي المأمورين بتأمين الطريق ودفع الشياطين عنا لمداخلة فيه وإيصاله إلى النبي مطلقا أو خصوص محمد صلى الله عليه وآله كما يستفاد من قوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ... ﴾، وعليه فالمعنى أقسم بالملائكة الذين يصفون في طريق الوحي صفا و الذين يزجرون الشياطين ويمنعونهم عن المداخلة في الوحي والذين يتلون على النبي الذكر وهو مطلق الوحي؛ أو خصوص القرآن كما

(٣٢)بحار الأنوار: ج ١٧، ص ٢٧٤.

يؤيده التعبير عنه بتلاوة الذكر. و يؤيد ماذكرنا وقوع حديث رمي الشياطين بالشهب بعد هذه الآيات، وكذا قوله بعد: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ﴾. و لا ينافي ذلك إسناد النزول بالقرآن إلى جبرائيل وحده فيقوله: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [سورة البقرة: ٩٧]؛ لأن الملائكة المذكورين أعوان جبرائيل فنزولهم به هو نزوله به. ولعل العلامة قدس سره قد استوحى ذلك من كلام أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول: «ثُمَّ فَتَقَ مَابَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ وَ صَافُّونَ لَا يَتَزَايَلُونَ وَ مُسَبِّحُونَ لا يَسْأَمُونَ لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ وَلَا سَهْوُ الْعُقُولِ وَلَا فَتْرَةُ الْأَبْدَانِ وَ لَاغَفْلَةُ النِّسْيَانِ و مِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ و أَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ وَ مُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ وَمِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ وَ السَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ...»[٣٣]. نعم؛ حمل معظم المفسرين معنى هذه الآية على ما يفيده المعنى اللغوي للاصطفاف والزجر والتلاوة؛ وما تؤيده بعض الروايات. وإن رأى جُلُهم أن «التاليات ذكرا» ظاهرة في الملائكة التالين للوحي على الأنبياء[٣٤].

- **السماء والأرض**: إن الآيات التي سنعرضها تمثل نزرا قليلا من الإعجاز القرآني؛ فها هو يخاطب غير ذوي العقول بلسان ذوي العقول فيقول: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾ [سورة فصّلت: ١٢]؛ و ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾[سورة الزلزلة: ٤ -٥]. والمصَّحح لإسناد الوحي في هذه الآيات هو انطواء هذه الموجودات على نحو من الإدراك -وإن خالف نحو إدراكنا -يسانخسرياننظاما لوجود في جميع مراتبه؛ وعليه تكون السماوات والأرض قد تلقت الأمر الإلهي الخفي واستجابت له.

(٣٣) نهج البلاغة، ص: ٤٢.

(٣٤) أنظر مجمع البيان في تفسير القرآن ج٨/ ٦٨٥؛ مجمع البحرين ج١/ ٦٩؛ لطائف الإشارات ج٣/ ٢٢٧.

- **الحيوانات**: قال سبحانه: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾ [سورة النحل: ٦٨ -٦٩]. هاهي حيرة أخرى تضاف إلى حيرتنا المطلقة تجاه هذا النظام البديع المحكم. فالحق تبارك وتعالى يوحي لهذا الموجود فيتلقى خطابه بدقة متناهية ويستجيب له عمليا بإتقان طار له لب علماء الأحياء؛ ويسجل بذلك دليلا آخر على القدرة الإلهية المطلقة. ويؤيده ما جاء عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللهِ: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾؛ قَالَ: إِلْهَامٌ[٣٥]».

ولا بأس أن نذكر في البين كلاما للعارف الشيخ ابن عربي رحمه الله مؤولا رمزية عسل النحل: «... إن العسل لما أنتجه صنف من الحيوان ممن له نصيب في الوحي صحت المناسبة بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه ممن يوحى إليه و النحل ممن يوحى إليه فالعسل من النحل بمنزلة العلوم التي جاء بها النبي صلى الله عليه وآله من قرآن و أخبار[٣٦]».

٣. **الوحي باعتبار المُتَلَقَى**: لقد ذكرنا من قبل أن هذه الاعتبارات متداخلة، بل إن إعتبار المتلقى جامع لها حسب ما سنورده إذ المتلقى على نحوين قدسي وغير قدسي، أما القدسي: فهو ما يلقى للأنبياء خاصة عبر قنوات الوحي الثلاث المذكورة في الاعتبار الأول؛ غير قدسي: وهو الجامع لباقي معاني الوحي من إلهام خاص وعام، وإشارة، وتسديد و... وسنشير فيما يأتي إلى ذلك:

- **الهداية التكوينية**: ما من موجود إلاّ وقد سُطّرت مناهل هدايته من لدن حكيم عليم بما فيها مصلحة المُهتدي وما من شأنه من استعدادات خَلقية. فقد قال عزَّ من قائل: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ

(٣٥) تفسير العياشي، محمد ابن مسعود العياشي، ج٢، ص٢٦٣.

(٣٦) الفتوحات المكيّة، ابن عربي، ج١، ص: ٧٣٩.

﴿ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [سورة طه: ٥٠]. وقد أشار أصحاب التفاسير[٣٧] إلى أن نحو الهداية يختلف باختلاف ماهية الموجودات من جماد ونبات وحيوان وإنسان وملك و... ومن جملة ما جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗا ﴾ [سورة النحل: ٦٨] والمراد هو التسخير والإلهام؛ قال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: «أطلق الوحي هنا على التكوين الخفي الذي أودعه الله في طبيعة النحل، بحيث تنساق إلى عمل منظم مرتب بعضه على بعض لا يختلف فيه آحادها، تشبيهًا للإلهام بكلام خفي..[٣٨]».

- **الروح**: ورد لفظ الروح في القرآن الكريم بمعان شتى؛ إحداها ما يلقيه الله إلى أنبيائه؛ وقد ذكر وتبعه قيد توضيحي كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴾ [سورة الشورى: ٥٢]؛ والمراد هو التسديد من عالم الأمر بذلك الروح لا صِرف الإنباء، بقرينة ذكر كلّ من الكتاب والإيمان، فالإيمان من سنخ الأفعال التسديدية نظير قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٣]، ويتضح من مفاد الآية الشريفة أن متعلق الوحي هو فعل الخيرات المقارن لصدور الفعل نفسها. وعنوان الإمامة المذكور في الآية مجعول من قبل الله تعالى، وعليه يكون الموصوف به فردا مؤيدا ومسددا بحقيقة أمرية.
- **أمر**: قال تعالى: «﴿ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَا ﴾ [سورة فصّلت: ١٢]؛ والمراد هنا التقدير.

(٣٧) أنظر كتاب أسرار الآيات، متن، ص١٥٦.
(٣٨) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج١٤، ص٢٠٥.

- وسوسة: الوسوسة «وحي الكذب»: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [سورة الأنعام: ١١٢]؛ والمراد هنا هو ما يشمل إلقاء الوسوسة في النّفس بنحو الإلقاء الخفي. ووصف هذا القول بالزخرف؛ أي المزخرف إشارة إلى تلوين الكلام الملقى مما من شأنه تلوين خاطر وقلب المُوحى له. قال ﷺ: «لِلْقَلْبِ لَمَّتَانِ لَمَّةٌ مِنَ الْمَلَكِ إِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَ تَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللهِ فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَ لَمَّةٌ مِنَ الْعَدُوِّ إِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَ تَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ وَ نَهْيٌ عَنِ الْخَيْرِ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ ثُمَّ تَلَا الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ[٣٩]»، و لتجاذب القلب بين هاتين اللمتين قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ[٤٠]»؛ و نظير ذلك ما روي عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «إِنَّ الشَّيَاطِينَ يَلْقَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً فَيُلْقِي إِلَيْهِ مَا يُغْوِي بِهِ الْخَلْقَ حَتَّى يَتَعَلَّمَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ»[٤١].

- **الهام**: وقد عرّف هذا النوع من الوحي بأنّه تعليمه تعالى من اصطفاه من عباده كلّما أراد اطّلاعه على ألوان الهداية وأشكال العلم، ولكن بطريقة خفيّة غير معتادة للبشر وسيأتي بيانه في باب الالهام- إنشاء الله -.

- **إشارة**: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [سورة مريم: ١١]؛ إن المصحح لعدّ الإشارة وحيا هو اعتماد زكريا عليه السلام ذلك للتفهيم وإلقاء المعنى وهو نحو من أنحاء الكلام الخفي. ويجمع هذا الاعتبار ما جاء في قَالَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام حِينَ سَأَلُوهُ عَنْ مَعْنَى الْوَحْيِ فَقَالَ: مِنْهُ وَحْيُ النُّبُوَّةِ وَ مِنْهُ وَحْيُ الْإِلْهَامِ وَ مِنْهُ وَحْيُ الْإِشَارَةِ وَ سَاقَهُ إِلَى أَنْ

(٣٩) بحار الأنوار، المجلسي، ج٦٧، ص ٣٩.
(٤٠) المصدر السابق، ص: ٤٠.
(٤١) المصدر السابق، ج ٦٠، ص ١٥٠.

قَالَ: وَ أَمَّا وَحْيُ الْإِشَارَةِ فَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾؛ أَيْ أَشَارَ إِلَيْهِمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾[٤٢].

- **الرؤيا**: لا شك أن الرؤيا بالمعنى الأخص؛ أي رؤية الأنبياءمن الوحي؛ لما في ذلك من الأخبار المستفيضة عند المسلمين من الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سورة الاسراء: ٦٠]؛ وقال أيضا: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾[سورة الفتح: ٢٧]. وعليه تكون الرؤيا الصادقة ضرباً من ضروب الوحي النبوي؛ فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «رؤيا الأنبياء وحي»[٤٣]. يبقى الإشارة إلى استعمالات أخرى تفيد معنى الالقاء الخفي بألفاظ مغايرة للفظ «الوحي»، مثل لفظ «قول» الذي استخدم في القرآن بمعنى الإلقاء الخفي سواء أكان المخاطب من ذوي العقول كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٣٤]؛ وقوله أيضا: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [سورة البقرة: ٣٠]؛ أم غير ذوي العقل بقوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾[سورة فصلت: ١١].

يقول صاحب الميزان: «و أما اختصاص بعض الموارد ببعض هذه الألفاظ مع كون المعنى المشترك المذكور موجودا في الجميع كتسمية بعضها كلاما و بعضها قولا و بعضها وحيا مثلا لا غير فهو يدور مدار ظهور انطباق العناية اللفظية على المورد، فالقول يسمى كلاما نظرا إلى السبب الذي يفيد وقوع المعنى في الذهن و

(٤٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج: ١٤ ص: ١٨.
(٤٣) الآملي، الشيخ الطوسي، ص٣٣٨.

لذلك سمي هذا الفعل الإلهي في مورد بيان تفضيل الأنبياء وتشريفهم كلاما لأن العناية هناك إنما هو بالمخاطبة والتكليم، ويسمى قولا بالنظر إلى المعنى المقصود إلقاؤه و تفهيمه ولذلك سمي هذا الأمر الإلهي في مورد القضاء والقدر والحكم والتشريع ونحو ذلك قولا كقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ ﴾[٤٤]». ونظير ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ وهو ظاهر أنه نحو من الإلهام.

موارد استعمالات الإلهام في القرآن والروايات:

لم يرد لفظ الإلهام في القرآن الكريم إلاَّ في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [سورة الشمس: ٨]؛ أما معانيه اللغوية[٤٥] كالاسترشاد والتوفيق والايزاع والتحديث و... فقد زخرت بها آيات الذكر الحكيم والروايات الشريفة.

ويمكننا الظفر عند استقراءنا لهذه الموارد بما مفاده أنَّ الإلهام يجامع الوحي في كثير من الموارد ويفترق عنه في أخرى.

يقول العلامة الطباطبائي في تفسيره للآية المذكورة: «... وقد يُشكل هنا في إلهام الفجور إذ إلهام التقوى يسانخ فعله تعالى؛ فيجيب صاحب الميزان قائلا: "و تعليق الإلهام على عنواني فجور النفس و تقواها للدلالة على أن المراد تعريفه تعالى للإنسان صفة فعله من تقوى أو فجور وراء تعريفه متن الفعل بعنوانه الأولي المشترك بين التقوى و الفجور كأكل المال مثلا المشترك بين أكل مال اليتيم الذي هو فجور و بين أكل مال نفسه الذي هو من التقوى، و المباشرة المشتركة بين الزنا و هو فجور و النكاح و هو من التقوى و بالجملة المراد أنه تعالى عرف الإنسان كون ما يأتي به من فعل فجورا أو تقوى و ميز له ما هو تقوى مما هو فجور. و تفريع الإلهام على التسوية في قوله: ﴿ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا ﴾ إلخ للإشارة إلى أن إلهام الفجور و التقوى و هو العقل العملي من تكميل تسوية النفس فهو من

(٤٤) الميزان في تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣١٩.
(٤٥) ارجع إلى المعنى اللغوي للإلهام.

نعوت خلقتها كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾[سورة الروم: ٣٠].

و إضافة الفجور و التقوى إلى ضمير النفس للإشارة إلى أن المراد بالفجور و التقوى الملهمين الفجور و التقوى المختصين بهذه النفس المذكورة و هي النفس الإنسانية و نفوس الجن على ما يظهر من الكتاب العزيز من كونهم مكلفين بالإيمان و العمل الصالح(٤٦)".

ويمكننا تقسيم الالهام في القرآن إلى قسمين هما:

إلهام علم: وهو نحو من الإدراك يفاض فيه المُدرَك من قبل الحق تبارك تعالى فيعلم به المدرِك ما جهله؛ إما حصولا أو حضورا.

إلهام عمل: ايزاع(٤٧) باطني وميل لفعل الصالحات؛ كما في قوله تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾[سورة النمل: ١٩]؛ وقوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾[سورة الأنبياء: ٧٣].

يقول العلامة: «... الإلهام يكون تارة من سنخ الإدراكات؛ بمعنى أنّ الله يُفهّم الإنسان أمراً ما، وتارة أُخرى من سنخ الميل؛ أي إنّ الله يُلهم المرء ميلاً نحو أمر معيّن. وكذا هو الحال بخصوص الوحي، إذ يقول القرآن الكريم في هذا الصدد: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾؛ فالله يوحي لأوليائه فعل ذلك، فهنا لم يقل: «العلم بالخيرات»، بل قال: «فعل الخيرات»، فالظاهر أنّ عين الفعل هو الذي يوحَى؛ بمعنى أنّ الميل والنزوع إلى فعل الخير يوجَد في أولياء الله بعناية من الله تعالى(٤٨) «وإنّ في كتاب الله من هذا القبيل كثير من الآيات كقوله تعالى: ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ﴾[سورة الحجرات: ٧]؛ فهذا هو فعل الله تبارك وتعالى».

أما «التحديث» فهو ضرب من

(٤٦) نفسه، ج٢٠، ص: ٢٩٨.

(٤٧) ارجع إلى المعنى اللغوي للايزاع فقد ذكرناه في الصفحة.

(٤٨) الميزان في تفسير القرآن؛ ج٢٠/ ٢٩٧.

الالهام؛ بل أرقى درجاته. وهو سمع القلب لسماع كلام الله بصوت الملك، لا سمع الحس. وفي الصحيح عن الأحول قال: سمعت زرارة يسأل أبا جعفر عليه السلام قال: أخبرني عن الرسول و النبي و المُحَدَث فقال: «الرَّسُولُ الَّذِي يَأْتِيهِ جَبْرَئِيلُ قُبُلًا فَيَرَاهُ وَ يُكَلِّمُهُ فَهَذَا الرَّسُولُ وَ أَمَّا النَّبِيُّ فَهُوَ الَّذِي يَرَى فِي مَنَامِهِ نَحْوَ رُؤْيَا إِبْرَاهِيمَ وَ نَحْوَ مَا كَانَ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ أَسْبَابِ النُّبُوَّةِ قَبْلَ الْوَحْيِ حَتَّى أَتَاهُ جَبْرَئِيلُ عليه السلام مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِالرِّسَالَةِ وَ كَانَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله حِينَ جُمِعَ لَهُ النُّبُوَّةُ وَ جَاءَتْهُ الرِّسَالَةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَجِيئُهُ بِهَا جَبْرَئِيلُ وَ يُكَلِّمُهُ بِهَا قُبُلًا وَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَنْ جُمِعَ لَهُ النُّبُوَّةُ وَ يَرَى فِي مَنَامِهِ وَ يَأْتِيهِ الرُّوحُ وَ يُكَلِّمُهُ وَ يُحَدِّثُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ يَرَى فِي الْيَقَظَةِ وَ أَمَّا الْمُحَدَّثُ فَهُوَ الَّذِي يُحَدَّثُ فَيَسْمَعُ وَ لَا يُعَايِنُ وَ لَا يَرَى فِي مَنَامِهِ[٤٩]».

خاتمة:

ممّا مر يتضح أن فهم النص القرآني منوط بتحديد تلك العلقة المتينة بين البنية اللغوية للنص القرآني ومعارفه؛ وهذا لن يتسنى للمحقق في مجالات الدراسات القرآنية إلا من خلال كشف العلاقة بين البعد الوجودي والبعد اللساني؛ أي كون الكلمات القرآنية تنهض بوظيفة وجودية خاصة. وهذا ما يسوّغ لنا القول بأن المرتبة اللفظية للقرآن الكريم كاشفة عن مرتبته التي أنزل عنها.

فإذا رمنا التعالي بالفهم القرآني إلى حقائق كلماته ومفرداته؛ ما علينا إلا أن نذعن بأن لكل مفردة فيه حقيقة في مرتبة من مراتب تنزلاته من الحق تعالى، وأقول حقيقة لا مجازا كما رآه الكثير من المحققين.. . وربما سيكون لنا -بحول الله -محاولات أخرى في هذا المجال من شأنها بسط البحث في هذا الموضوع.. .

(٤٩) الكافي، الكليني، بَابُ الْفَرْقِ بَيْنَ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ وَالْمُحَدَّثِ، ج١، ص١٧٦.